

الفصل الأول

سيرة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها

قبل زواجها من الرسول ﷺ

- المبحث الأول: أسرتها.
- المبحث الثاني: مبادرتها إلى الإسلام وتحملها الأذى فيه.
- المبحث الثالث: هجرتها إلى الحبشة.
- المبحث الرابع: هجرتها إلى المدينة.
- المبحث الخامس: ترمُّلها.

المبحث الأول

أُسْرَتُهَا^(١)

ولادتها:

ولدت أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - في السنة ٢٨ ق. هـ / ٥٩٦ م^(٢).

اسمها:

قال البصري: اسمها هند^(٣) بنت أبي أمية زاد الراكب^(٤) ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم^(٥).

وقال الطبري في السمط الثمين: «هي هند، وقيل: رَمْلَة، والأول أصح»^(٦).

(١) وأعني منشأ أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - من ناحية أبيها وأُمها.

(٢) الأعلام قاموس تراجم، ص ٩٧.

(٣) انظر: تسمية أزواج النبي ﷺ ص ٥٧، والطبقات الكبرى ج ٨، ص ٨٦، والأعلام قاموس تراجم ص ٩٨، وعيون الأثر ج ١، ص ٣٨١، زوجات النبي ﷺ وأولاده سيرة وتاريخ ص ١٩٣.

(٤) عرف والدها بزاد الراكب؛ لأنه كان أحد الأجواد، فكان إذا سافر لا يترك أحداً يرافقه ومعه زاد بل يكفي رفقته، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ج ٧، ص ٨.

(٥) انظر: تسمية أزواج النبي ﷺ وأولاده ص ٥٧، والطبقات الكبرى ج ٨، ص ٨٦، وتاريخ الأمم والملوك ج ١٣، ص ٧١، والاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ١، ص ٨٠٢، الوفا بأحوال المصطفى ج ٢، ص ٣٤٩، وعيون الأثر، ص ٣٨١.

(٦) انظر: السمط الثمين، ص ١٣٣، وأزواج النبي ﷺ، ج ٢٨، ص ١٤٧، وسمط النجوم العوالي ج ١، ص ٣٨٢.

- وقال الذهبي : «قد وهم من سماها : رملة . تلك أم حبيبة»^(١) .
- وقال أبو عمر : «يقال : اسمها رملة . وليس بشيء»^(٢) .
- وقال ابن عبد البر في الاستيعاب : «هند»^(٣) .
- وذكر ابن قتيبة : «أم سلمة» ولم يذكر هنداً^(٤) .
- وزاد القرطبي بقوله : «القرشية»^(٥) .
- وزاد ابن الأثير : «المخزومية»^(٦) .
- قال ابن القيم : «اسمها هند بنت أبي أمية حذيفة بن المغيرة القرشية المخزومية»^(٧) .
- وزاد النويري في نهاية الأرب : «ابن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي القرشية المخزومية»^(٨) .
- وزاد الذهبي بقوله : «القرشية المخزومية»^(٩) . واختلف ابن حجر - رضي الله عنه - بقوله : «عمرو ، وليس عمر»^(١٠) .

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢ ، ص ٢٠١ .

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ، ص ٣٤٠ .

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ج ١ ، ص ٨٠٢ .

(٤) انظر : المعارف ، ص ٦٠ .

(٥) الاستغناء في معرفة المشهورين ج ١ ، ص ٣٠٦ .

(٦) أسد الغابة ج ٧ ، ص ٦٣٠ .

(٧) زاد المعاد ج ١ ، ص ١٠٨ ، ومئة أوائل من النساء ، ص ١٠١ .

(٨) نهاية الأرب في فنون الأدب السفر ١٨ ، ص ١٧٩ .

(٩) سير أعلام النبلاء ج ٢ ، ص ٢٠١ وفي ٢٠٢ ، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير . والأعلام «الغازي» ص ٢٥٥ ، والإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ، ص ٣٤٠ .

(١٠) الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ، ص ٣٤٠ ، ومسانيد أمهات المؤمنين ص ٣٥ .

وزاد الإمام الدمشقي على النويري: «لؤي بن غالب»^(١).

قال الزركلي في «الأعلام»: «هند بنت سهيل المعروف بأبي أمية بن المغيرة القرشية المخزومية»^(٢).

وزاد ابن حجر في «تهذيب التهذيب» بقوله: «المخزومية»^(٣). ولم يذكر مؤلف «سمط النجوم العوالي»: عمر في نسب أم سلمة. وزاد: «ابن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي»^(٤).

وقال محمود الاستانبولي: «هند بنت أبي أمية بن المغيرة، المخزومية القرشية»^(٥).

وقال محمد رضا: «أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية»، وسماها هنداً^(٦).

وقال الشافعي: «هند بنت أبي أمية بن المغيرة»^(٧).

والأظهر أن اسمها الأول هند كما أشارت إلى ذلك معظم الروايات.

(١) كتاب أزواج النبي ﷺ ص ٢٨، وفي ١٤٧.

(٢) الأعلام قاموس تراجم ج ٨، ص ٩٧.

(٣) تهذيب التهذيب ج ١٢، ص ٤٥٥.

(٤) سمط النجوم العوالي ج ١، ص ٣٨.

(٥) نساء حول الرسول ﷺ ص ٦٩، و: الرسول العربي المربي، ص ١٤٨، و: السيرة النبوية في

ضوء القرآن والسنة ج ٢، ص ٣٤٦.

(٦) انظر: محمد رسول الله ﷺ ص ٣٦١.

(٧) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ج ٢، ص ١٧٥.

اسم أبيها:

لقد اختلف في اسم أبيها أيضاً:

قال القرطبي: «اسمه حذيفة، وقيل: سهيل»^(١).

وقال ابن الجوزي: «اسمه سهيل»^(٢).

وقال ابن القيم اسمه: «حذيفة بن المغيرة»^(٣).

وقال الإمام الدمشقي: «اسمه سهيل»^(٤).

قال ابن سيد الناس في «عيون الأثر»: «اسمه أمية»^(٥).

قال الزركلي: «اسمه سهيل، ويقال: حذيفة»^(٦).

ويمكن التوفيق بين الأقوال التي وردت عن نسب أم المؤمنين أم سلمة -

رضي الله عنها- على النحو التالي:

أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها-، هند بنت أبي أمية حذيفة بن المغيرة

ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب

القرشية المخزومية.

(١) الاستغناء في معرفة المشهورين ج ١، ص ٣٩٠٦، و: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،

ص ٢٥٥. وتهذيب التهذيب ج ١، ص ٤٥٥، والإصابة في تمييز الصحابة ج ٤، ص ٣٤٠.

(٢) الوفا بأحوال المصطفى ج ٢، ص ٣٤٩.

(٣) زاد المعاد ١/ ١٠٦، ونهاية الأرب في فنون الأدب ج ١٨، ص ١٧٩، وسير أعلام النبلاء، ج ٢،

ص ٢٠١-٢٠٢، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير «المغازي» ص ٥٩٧، ومسانيد أمهات

المؤمنين ص ٣٥.

(٤) كتاب أزواج النبي ﷺ ص ٢٨، والطبقات الكبرى ج ٨، ص ٨٦، وسمط النجوم العوالي ج ١،

ص ١٧٥، وتاريخ الأمم والملوك ١٣/ ٧١، نزهة المجالس ومنتخب النفائس ٢/ ١٧٥.

(٥) عيون الأثر ج ١، ص ٣٨١.

(٦) الأعلام قاموس تراجم ٨/ ٩٧.

ومما يؤكد أن أم سلمة - رضي الله عنها - بنت أبي أمية ما حصل لها عندما قدمت إلى المدينة، «وذلك أن أم سلمة - رضي الله عنها - أخبرت: أنها لما قدمت للمدينة أخبرتهم: أنها بنت أبي أمية فكذبوها، حتى أنشأ أناس منهم الحج، فقالوا: أتكتبن إلى أهلك؟ فكتبت معهم، فرجعوا فصدقوها، وازدادت عليهم كرامة»^(١).

اسم أمها:

وقد اختلف في نسب أمها أيضاً.

قال النويري: «عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن خزيمة بن علقمة ابن فراس»^(٢).

وزاد ابن حجر «الكنانية من بني فراس»، ولم يذكر خزيمة بن علقمة^(٣).

وقال الطبري: «عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن عبدالمطلب» فزاد «ابن عبدالمطلب»^(٤).

(١) الطبقات الكبرى ج ٨، ص ٩٣، وسير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٢٠٦، والإصابة في تمييز الصحابة ج ٤، ص ٢٤١، وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ج ١٣، ص ٦٩٩، وحياة الصحابة ج ٢، ص ٦٥٧ وفيه قالوا: (تكتبي).

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ج ١٨، ص ١٧٩. وأزواج النبي اللاتي دخل بهن ص ١٤٧. وعيون الأثر ج ١، ص ٣٨٢.

(٣) انظر الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤، ص ٣٤٠، ومسانيد أمهات المؤمنين، ص ٣٥، ونساء حول الرسول ﷺ ص ٦٩، ومئة أوائل النساء ص ١٠٠.

(٤) انظر: السمط الثمين، ص ١٣٣.

واختلف ابن سعد فقال : «ابن مالك بن جريمة (بالجيم والراء) بن علقمة جذل الطعان بن فراس بن غنم بن مالك بن كنانة»^(١).

وزادت بنت الشاطيء : «ابن جريمة (بالجيم والراء) الكنانية من بني فراس ، وكان جدها جريمة بن علقمة يلقب بجزل الطعان»^(٢).

«ومن قال : إنها عاتكة بنت عبدالمطلب فجعلها بنت عمه لرسول الله ﷺ فقد أخطأ ، وإنما هي بنت زوجها»^(٣).

ومما يؤكد خطأ ذلك أن عاتكة بنت عبدالمطلب ذكرت من ضمن عمات رسول الله ﷺ ، وأنها تزوجت أبا أمية بن المغيرة المخزومي^(٤).

زوجها:

كانت أم سلمة -رضي الله عنها- «تحت أبي سلمة»^(٥) ، واسمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم^(٦) ، «وأمه عمه

(١) الطبقات الكبرى ج ٨ ، ص ٨٦ ، وتاريخ الأمم والملوك ج ١٣ ، ص ٧١ .

(٢) نساء النبي ﷺ : ٣١٦ .

(٣) أزواج النبي ﷺ اللاتي دخل بهن ص ١٤٧ . والسمط الثمين ، ص ١٣٣ ، والمقصود «بنت زوجها» أنها بنت أبي أمية بن المغيرة زوج عاتكة .

(٤) انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ١ ، ص ٣٩ ، وأزواج النبي ﷺ ص ١٤٧ .

(٥) الطبقات الكبرى ج ٨ ، ص ٨٧ ، وانظر : المعارف ص ١٣٧ ، والوفاء بأحوال المصطفى ج ٢ ، ص ٣٤٩ ، وأسد الغابة ج ٥ ، ص ٥٦٠ ، وسير أعلام النبلاء ج ٢ ، ص ٢٠٢ ، وتهذيب التهذيب ج ١ ، ص ١٥٦ ، والإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ، ص ٩٥ ، وأزواج النبي ﷺ ص ١٤٨ .

(٦) الطبقات الكبرى ج ٨ ، ص ٨٧ ، وانظر : كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٨٠٢ ، ونهاية الأرب في فنون الأدب السفر ١٨ ص ١٧٩ ، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام «المغازي» ص ٢٥٥ .

رسول الله ﷺ برة بنت عبد المطلب»^(١)، «وكان أخا النبي ﷺ من الرضاع، أرضعتهمما وحمزة ثوية مولاة أبي لهب»^(٢).

إخوانها:

١- عبدالله بن أمية^(٣):

قال ابن قتيبة: أخوها «عبدالله بن أبي أمية» كان من أشد قريش عداوة

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ١، ص ١٣٩، وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤، ص ٩٥. ونهاية الأرب في فنون الأدب السفر ج ١٨، ص ١٧٩. وأزواج النبي ﷺ، ص ١٤٨.

(٢) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام «المغازي» ص ٢٥٥.

(٣) اسمه عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخزومي. أمه عاتكة بنت عبد المطلب. كان عبدالله شديداً على المسلمين. قيل: هو الذي قال: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] وما بعدها. ثم أسلم قبل فتح مكة بيسير، وحسن إسلامه. انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام «المغازي» ص ٥٩٧. قال ابن إسحاق: «وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ أيضاً بنبق العقاب، فيما بين مكة والمدينة فالتمسا الدخول عليه فكلمته أم سلمة فيهما، فقالت: يا رسول الله، ابن عمك وابن عمتك وصهرك، قال: لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال. قال: فلما خرج الخبر إليهما بذلك، ومع أبي سفيان بُنيُّ له. فقال: والله ليأذنن لي، أو لآخذن بيدي بني هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما، فدخلا عليه فأسلما» انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٣٤، وجوامع السيرة النبوية ص ١٧٩.

وهو الذي قال (له) هيث المخنث: يا عبدالله، إن فتح الله عليكم الطائف، فإني أدلك على ابنة غيلان (الحديث: ذكر في صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت، ج ٧، ص ٥٥، كما ورد في صحيح مسلم، كتاب السلام، باب منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب (٢١٨٠) ج ٤، ص ١٧١٥، كما ورد أيضاً في صحيح سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب في المخنثين (١٩٠٢) ج ١، ص ٣٢١، وفي كتاب المغازي، باب غزوة الطائف ج ٥، ص ١٠٢).

وقيل: إنه أسلم يوم الفتح. انظر الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ٧٦.

للنبي ﷺ ، ثم أسلم واستشهد يوم الطائف^(١) ، وذكر الذهبي أن عبد الله بن أبي أمية أخو أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها^(٢) .

زهير:

قال ابن الأثير : إن عاتكة بنت عبدالمطلب ولدت لأبي أمية بن المغيرة المخزومي زهيراً وعبدالله ، وهما أخوا أم سلمة زوج النبي ﷺ^(٣) ، وعلى ذلك يكون عبدالله وزهير أخوي أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها من ناحية الأب لا الأم .

ولقد اختلف الطبري في نوعية القرابة بين أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها وبين عبدالله بن أمية فقال : «وأخوالها لأبيها عبدالله وزهير ابنا عمه رسول الله ﷺ»^(٤) ، فجعلهم أخوالاً لها ، وليس إخواناً .

مسعود:

فلقد قال الذهبي «مسعود بن أبي أمية المخزومي أخو أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها»^(٥) .

وأم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - بنت عم خالد بن الوليد وأبي جهل ، كما قال ذلك الذهبي : «إن أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - هي بنت عم خالد بن الوليد - سيف الله - وبنت عم أبي جهل بن هشام»^(٦) .

(١) انظر : المعارف ص ٦٠ .

(٢) انظر : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام «المغازي» ص ٥٩٧ .

(٣) انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ١ ، ص ٣٩ ، وأزواج النبي ، ص ١٤٧ .

(٤) السمط الثمين ص ١٣٣ .

(٥) من المشركين الذين قتلوا في يوم بدر ، انظر : تاريخ الإسلام «المغازي» ص ١٢٦ ، وجوامع السيرة النبوية ص ٩١١ .

(٦) سير أعلام النبلاء ج ٢ ، ص ٢٠١ ، والمعارف ص ٦٠ .

المبحث الثاني

مبادرتها إلى الإسلام وتحملها الأذى فيه

حينما تلقى رسول الله ﷺ الوحي من السماء بدأ يدعو الناس إلى دين الإسلام دين الحق . ولم يكن أحد أولى بدعوة الرسول ﷺ من زوجته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ، وأخلص أصدقائه أبي بكر الصديق رضي الله عنه . ولهذا رأينا الدعوة قد بدأت سرية تعلن لكل فرد على حده حتى يهتدي بهدي الإسلام .

وكانت هذه الاستجابة الفورية من أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - تعني سنداً للرسول ﷺ في دعوته .

فعن ابن إسحاق قال : « انطلق أبو عبيدة بن الحارث وأبو سلمة بن عبد الأسد وعبد الله بن الأرقم المخزومي وعثمان بن مظعون حتى أتوا رسول الله ﷺ ، فعرض عليهم الإسلام ، وقرأ عليهم القرآن ، فأسلموا وشهدوا إنه على هدى ونور »^(١) .

وحيث إن المراجع التي رجعت إليها لم تشر إلى تاريخ إسلام أم سلمة رضي الله عنها إلا أنه يتضح من معظم كتب السيرة^(٢) أن أبا سلمة كان من

(١) كتاب السير والمغازي ص ١٤٤ .

(٢) كتاب السير والمغازي ص ١٤٤ - الروض الأنف ج ١ ص ٢٩٠ ، أسد الغابة ج ٥ ، ص ٢١٨ ، البداية والنهاية ج ٣ ، ص ٣٣ ، وتاريخ ابن خلدون ج ٣ ، ص ٧١٦ ، سبل الهدى والرشاد ج ٢ ، ص ٤١٢ .

السابقين إلى الإسلام، بل إنه يعد الحادي عشر في الترتيب، فقد قال ابن إسحاق: «أسلم بعد عشرة أنفس، فكان الحادي عشر من المسلمين»^(١).

وكان في ذلك الوقت متزوجاً من أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، ومما يؤكد ذلك أن أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - كانت هي وزوجها أبو سلمة من أوائل المهاجرين إلى الحبشة^(٢)، وكان ذلك في السنة الخامسة من مبعث رسول الله ﷺ^(٣).

فعن ابن اسحاق قال: وكان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة قبل هجرة جعفر وأصحابه . . . ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة: أبو سلمة بن عبد الأسد معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية^(٤).

ويؤكد هذا الاستنتاج الذي توصلت إليه قول الزركلي في «الأعلام» أن أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - قديمة الإسلام^(٥).

ومما سبق يتضح كيف أن أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - كانت من أوائل الذين استجابوا لدعوة الرسول ﷺ.

(١) الاستيعاب ج ٣، ص ٩٤٠.

(٢) انظر: السمط الثمين ج ٢، ص ٢٢٢، والطبقات الكبرى ج ١، ص ٢٠٤، وزاد المعاد ج ٣، ص ٣١، وفقه السيرة ص ٦٨، والسيرة النبوية للذهبي ص ١١١، والإصابة في تمييز الصحابة ج ٤، ص ٢٤٠، وسبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ٤٨٥، وعيون الأثر ج ١، ص ٣٨١، والسيرة الحلبية ج ٢، ص ٤.

(٣) انظر الاستيعاب ج ٣، ص ٩٤٠، والسيرة الحلبية ج ٢، ص ٤.

(٤) انظر: كتاب السير والمغازي ص ١٧٦.

(٥) انظر: الأعلام ج ٨، ص ٩٨.

تحملها الأذى في سبيل الإسلام:

ما إن علم المشركون بإسلام عدد من رجال ونساء قريش إلا وحاولوا إيذاءهم وإبعادهم عن هذا الدين الذي يرون أنه دخيل عليهم . ولقد تعددت صنوف الإيذاء للمسلمين نساء ورجالا ، ولكن محاولات المشركين هذه لم تقلل من عزيمة المسلمين ، بل زادتهم إيمانا وتصديقا . ولكون أم المؤمنين أم سلمة هي وزوجها - رضي الله عنهما - كانا من أوائل من استجاب للدعوة النبوية المباركة فلقد ذاقا صنوفاً من العذاب ، ولكنهما صبرا واحتسبا ومن ذلك :

١- فراقها لبلدها بالهجرة إلى الحبشة:

فقد ورد عن أم سلمة - رضي الله عنها - أنها قالت : « لما ضاقت علينا مكة وأوذني أصحاب رسول الله ﷺ ، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم ، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك الأذى عنهم ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه »^(١) .

وأم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - في تحملها آلام الغربة ، وفراق الأهل والوطن لم تفكر إلا في كيفية أدائها للعبادات في جو آمن مطمئن ، تركع ، وتسجد وتعبد الله تعالى ، لا ينغص عليها المشركون خلوتها في التعبد ، وما كان من سبب لحرصها على وجود هذا الجو الآمن إلا قوة في

(١) كتاب السير والمغازي ص ٢١٣ .

إيمانها بما جاء به رسول الله ﷺ من الله تعالى ، فلقد روت أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - شعورها بالطمأنينة ، وفرحتها بكونها في مكان بعيد عن الأذى يجعلها تضع كل جهدها في عبادة الله وحده حيث قالت : «لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي ، أمنا على ديننا ، عبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه»^(١) .

ويشير أيضاً قولها : «ونحن عنده بخير دار عند خير جار»^(٢) . إلا أن رغبتها وفرحتها بتمكينها من عبادة الله تعالى في هذه البلاد بلاد الحبشة جعلتها تصف جوارها للنجاشي ملك الحبشة كأنه بيتها بل وأفضل من بيت أقاربها وجيرانها الذين أذاقوها الأذى ، وحاولوا إجبارها على ترك دينها واتباع رسول الله ﷺ ، كما وصف ذلك جعفر بن أبي طالب أيضاً في حديثه إلى النجاشي ملك الحبشة الذي أحضر المهاجرين ، وسألهم عن دينهم ، فأجابه قائلاً : إن هذا الدين جاءنا ونحن قوم أهل جاهلية ، لا نعرف التوحيد ، ولا نصل الأرحام ، ولا نقدر ضعيفنا ولا نواسيه ، فدعانا إلى عبادة الله وحده ، واستجبنا لذلك «فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك»^(٣) .

(١) السيرة النبوية لابن هشام القسم الأول ص ٢٦٤ .

(٢) المرجع السابق ، القسم الأول ، ص ٢٦٤ .

(٣) المرجع السابق ، القسم الأول ، ص ٢٦٦ .

فراقها لابنها وزوجها:

لما عادت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها من الحبشة إلى مكة المكرمة، واستمر أذى المشركين للمؤمنين، قررت الرحيل إلى المدينة مهاجرة بدينها إلى الله مع زوجها أبي سلمة رضي الله عنه، وابنها سلمة، فذاقت الكثير من العناء، ومنعت من مرافقة زوجها أبي سلمة رضي الله عنه، وعاشت تجربة قاسية، وهي تشاهد بني عبد الأسد ينتزعون منها ابنها سلمة بالقوة، حتى خلعوا يده، فلم تشنها هذه المعاناة عن الالتزام بدينها، بالرغم من أن بني المغيرة أجبروها على البقاء عندهم بعيدة عن ابنها الذي أخذه بنو عبد الأسد، وزوجها الذي هاجر إلى المدينة، فكان أول المهاجرين إلى المدينة المنورة، وذلك عندما أمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة، فكانت هجرته قبل البيعة الأولى بسنة^(١).

وقال ابن إسحاق: «وكان ممن قدم على رسول الله ﷺ وشهد بدرًا من بني مخزوم: أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم»^(٢). وعلى الرغم من هذه الآلام التي أصابت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها إلا أن عزيمتها لم تهن، فكانت تخرج كل صباح تدعو الله تعالى أن يفرج كربها، وأن يعيد سلمة إلى أبيه بالالتحاق به إلى المدينة والفرار بدينها إلى الله. فعقدت العزم على الهجرة إلى المدينة بعدما سمح لها بنو المغيرة.

(١) انظر الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٠١، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢١٢، وشرح محمد الزرقاني على المواهب اللدنية/ ٣٧٠.

(٢) كتاب السير والمغازي، ص ٢٢٣.

هجرتها إلى المدينة بمفردها:

وكان مصابها عظيماً حينما هاجرت وحيدة دون رفيق يؤنس وحشتها ،
وتبين أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ذلك عندما سألها عثمان بن طلحة
ابن أبي طلحة : هل معك أحد؟ فقالت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها :
« لا والله إلا الله وابني هذا »^(١) .

وكل هذه الأحوال احتملتها أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها بعزيمة
المؤمنة الصابرة ، الراضية بقضاء الله وقدره ، ولو تصور أحدنا بعد المشقة ،
وطول المسافة ، ووحشة الطريق ، وحر النهار ، وظلمة الليل ، ومشقة السفر
لأدرك ما لقيته أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها في سبيل محافظتها على
عقيدها ، ودينها ، وحرصها على اللحاق برسول الله ﷺ ، والانضمام إلى
زوجها ووالد طفلها^(٢) .

معاناة أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - عند وصولها المدينة المنورة:

ولم تنته معاناة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها بوصولها إلى زوجها
في المدينة المنورة ، فلقد بدأت معاناة جديدة تمثلت في عدم تصديق أهل
المدينة لها بأنها بنت أبي أمية ، وعاشت بين أهل المدينة وهم لا يصدقون بأنها
بنت أبي أمية حتى نوى قوم الحج ، فطلبوا منها الكتابة إلى أهلها من بني

(١) السيرة النبوية لابن هشام القسم الأول ، ص ٤٦٩ .

(٢) انظر : من أعلام النساء ، ص ١٧٩ .

أمية، فكتبت معهم، فعادوا مصدقين لها، وازدادت عليهم كرامة^(١).

وكانت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها تتحدث عن تحملها الأذى في سبيل هذا الدين قائلة: «والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة»^(٢).

إنها صلابة امرأة مؤمنة علمت بالدعوة فأمنت بها، وضحت بكل شيء في سبيلها، وهانت عليها آلام الفرقة والغربة. وما أقل التضحيات في زماننا هذا! فكيف بامرأة تترك أهلها ووطنها، وتهاجر وحيدة إلى أرض غريبة فراراً بدينها، وبذلك ضربت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها مثلاً رائعاً للنساء.



(١) انظر: الطبقات الكبرى ج ٨، ص ٩٣، وسير أعلام النبلاء ج ٢، ص ٢٠٦، والإصابة في تمييز الصحابة ج ٤، ص ٢٤١، وكنز العمال ج ١٣، ص ٦٩٩، لقد سبق ذكر الرواية في مبحث أسرتها من الفصل الأول.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام القسم الأول ص ٤٧٠، والسمط الثمين ص ١٣٦.

المبحث الثالث

هجرتها إلى الحبشة

شعرت قريش بازدياد عدد المسلمين يوماً بعد آخر، فلجأت إلى اتباع طرق كثيرة لإبعاد المسلمين عن دينهم الذي ارتضوه، وقامت قريش ومن تبعهم من القبائل التي فيها مسلمون بحبس وتعذيب المسلمين، كما قاموا بتجويعهم وضربهم، ومنع الماء عنهم، خاصة إذا اشتد الحر في رمضان مكة، حتى لا يستطيع أحدهم أن يستوي جالساً من شدة الضربه، وأقرب مثال لتعذيبهم للمسلمين ما أصاب بلال بن رباح رضي الله عنه^(١)، «فقد كان صادق الإسلام، طاهر القلب، وكان أمية بن خلف يخرج به إذا حميت الظهيرة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول - وهو في ذلك - : أحد أحد. ثم يمر أبو بكر على بلال رضي الله عنه وهو يعذب، فيشتريه من أمية بعبد له أسود، فأعتقه وأراحه من العذاب»^(٢).

الهجرة الأولى إلى الحبشة:

قال محمد بن إسحاق: «فلما رأى رسول الله ﷺ ما أصاب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكان من الله عز وجل، ومن عمه أبي

(١) بلال بن رباح: بلال بن رباح الحبشي مؤذن الرسول ﷺ أحد السابقين إلى الإسلام، توفي في دمشق، روى له البخاري ومسلم أربعة وأربعين حديثاً. انظر: الأعلام ج ٢، ص ٤٩.

(٢) البداية والنهاية في التاريخ ج ٣، ص ٦٤، سبل الهدى والرشاد ج ٢، ص ٤٧٦ - ٤٧٨، حقائق الأنوار القسم الأول ص ٣١٥.

طالب وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء»^(١). قال لهم رسول الله ﷺ: تفرقوا في الأرض، فقالوا: أين نذهب يا رسول الله؟ قال: ههنا، وأشار إلى الحبشة^(٢).

وفي رواية أخرى أنه ﷺ قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه.

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، واستجابة لأمر رسول الله ﷺ، فكانت أول هجرة في الإسلام.

فكان أول من خرج من المسلمين: عثمان بن عفان أبي العاص بن أمية وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ»^(٣).

وروى الواقدي: أن خروجهم إلى الحبشة كان في رجب سنة خمس من البعثة، وأن أول من هاجر منهم - اثنا عشر رجلاً وأربع نسوة^(٤) وأنهم

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٨، ص ٢٥٥، والبداية والنهاية ج ٣، ص ٦٥.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى ج ١، ص ٢٠٣-٣٠٤.

(٣) سيرة ابن هشام ج ١، ص ٢٥٥، والبداية والنهاية في التاريخ ج ٣، ص ٦٤، سبل الهدى والرشاد ج ٢، ص ٤٨٥، وحنائق الأنوار القسم الأول، ص ٣١٥.

(٤) انظر: زاد المعاد ج ٣، ص ٨، ٢٣، «وقيل: وامرأتان وقيل: عشرة رجال»، «وقيل: كان أهل الهجرة الأولى أحد عشر رجلاً» انظر: فتح الباري ج ٧، ص ١٨٨، وفي شرح محمد الزرقاني على المواهب اللدنية ج ١، ص ٣١٤ «قيل: اثني عشر رجلاً وأربع نسوة، وقيل: وخمس نسوة». ومختصر سيرة الرسول ﷺ ص ٦١.

(١) انظر: فتح الباري ج ٧، ص ١٨٨، وفي شرح محمد الزرقاني على المواهب اللدنية ج ١، ص

انتهوا إلى البحر ما بين ماش وراكب، فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة^(١) «وهم: عثمان بن عفان وامراته رقية بنت رسول الله ﷺ، وأبو حذيفة بن عتبة وامراته سهلة بنت سهيل، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو سلمه بن عبدالأسد، وامراته أم سلمة بنت أبي أمية، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة العنزي، وامراته ليلى بنت أبي جثمة، وأبو سبرة بن أبي رهم، ويقال: بل أبو حاطب بن عمرو، وسهيل بن بيضاء، وعبدالله بن مسعود^(٢) رضي الله عنهم أجمعين»^(٣).

وقال ابن هشام: «وكان عليهم عثمان بن مظعون فيما ذكر بعض أهل العلم»^(٤).

قال ابن إسحاق: ثم خرج جعفر بن أبي طالب ومعه امراته أسماء بنت عميس، وولدت له عبدالله بن جعفر، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة فكانوا بها^(٥). ومنهم من هاجر أهله معه، ومنهم من هاجر بنفسه حتى قدموا أرض الحبشة^(٦).

٣١٥، وسبل الهدى والرشاد ج ٢، ص ٤٨٦.

(٢) «جزم ابن إسحاق بأنه كان في الهجرة الثانية» انظر: فتح الباري ج ٧، ص ١٨٩.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ج ١، ص ٢٥٥-٢٥٦، والطبقات الكبرى ج ١، ص ٢٠٣-٢٠٤، والكامل في التاريخ ج ٢، ص ٧٦-٧٧، وزاد المعاد ج ٣، ص ٢٣، والسيرة النبوية للذهبي ص ١١٠-١١٢، والبداية والنهاية ج ٢، ص ٦٣ وفي ص ٦٤-٧٣، سبل الهدى والرشاد ج ٢، ص ٤٨٥، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٣-٣٢٤.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ج ١، ص ٢٥٦، والبداية والنهاية ج ٣، ص ٧٤، وفتح الباري ج ٧، ص ١٨٩.

(٥) انظر: السيرة النبوية للذهبي ص ١١١، والبداية والنهاية في التاريخ ج ٣، ص ٧٤.

(٦) انظر: الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٠٤، والسيرة النبوية للذهبي ص ١١١.

عودة المسلمين من أرض الحبشة إلى مكة المكرمة وسببها:

مكث المسلمون في أرض الحبشة بقية رجب وشعبان إلى رمضان، ثم رجعوا إلى مكة في شوال لما بلغهم: أن قريشاً صافوا رسول الله ﷺ، وكفوا عنه، وكان ذلك سنة خمس من النبوة^(١).

ويورد ابن إسحاق تفصيلاً لعودة المهاجرين من الحبشة إلى مكة مبيناً سبب عودتهم إلى أنه قد بلغهم أن أهل مكة أسلموا، فلما رجعوا وذنوا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفياً^(٢).

وقد ذكر ابن إسحاق أن ممن دخل مكة بجوار أبا سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم دخل بجوار من أبي طالب بن عبد المطلب^(٣).

ويروى أن عدد المسلمين الذين قدموا على رسول الله ﷺ من أرض الحبشة إلى مكة ثلاثة وثلاثون رجلاً^(٤).

(١) انظر: الطبقات الكبرى ج ١، ص ٢٠٣-٢٠٤، والكامل في التاريخ ج ٢، ص ٧٧، وسبل الهدى والرشاد ج ٢، ص ٤٨٩، والسيرة الحلبية ج ١، ص ٣٢٤، ومختصر سيرة الرسول ﷺ ص ٦٢.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٥-٨، والكامل في التاريخ ج ٨، ص ٧٧، ونهاية الأرب في فنون الأدب السفر ١٨ ص ٢٦٢-٢٦٤.

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ج ٢، ص ٥-٨، الكامل في التاريخ ج ٢، ص ٧٧، ونهاية الأرب في فنون الأدب السفر ١٨، ص ٢٦٢-٢٦٤، وحنائق الأنوار القسم الأول ص ٣٢٢، والسيرة الحلبية ج ١، ص ٣٢٧-٣٢٨.

(٤) انظر: مختصر سيرة الرسول ﷺ ص ٦٣، والطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٠٧.

قال ابن إسحاق :

«إن أبا سلمة لما استجار بأبي طالب ، مشى إليه رجال من بني مخزوم ، فقالوا [له] : يا أبا طالب ، لقد منعت منا ابن أخيك محمداً ، فما لك ولصاحبنا تمنعه منا؟! قال : إنه استجار بي وهو ابن أختي ، وإن أنا لم أ منع ابن أختي لم أ منع ابن أخي ؛ فقام أبو لهب ، فقال : يا معشر قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون توثبون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتنتهن عنه أو لتقومن معه في كل ما قام فيه ، حتى يبلغ ما أراد . قال ؛ فقالوا : بل نصرف عما تكره يا أبا عتبة»^(١) .

الهجرة الثانية إلى الحبشة:

لما قدم أصحاب النبي ﷺ إلى مكة من الهجرة الأولى اشتد عليهم قومهم ، وسطت بهم عشائريهم ، ولقوا منهم أذى شديداً ، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية ، فكان خروجهم الأخير أعظمها مشقة ، ولقوا من قريش تعنيفاً ، ونالوهم بالأذى ، واشتد عليهم ما بلغهم عن النجاشي من حسن جواره لهم ، فقال عثمان بن عفان : يا رسول الله ، الأولى وهذه الآخرة إلى النجاشي ولست معنا؟ فقال رسول الله ﷺ : أنتم مهاجرون إلى الله وإلي ، لكم هاتان الهجرتان جميعاً ، قال عثمان : فحسبنا يا رسول الله^(٢) .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ، ص ١٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٢ ، ص ٤٩٠ .

(٢) انظر : الطبقات الكبرى ج ١ ، ص ٢٠٧ ، ونهاية الأرب السفر ١٨ ، ص ٢٤١ ، ومختصر سيرة الرسول ﷺ ، ص ٦٢-٦٣ .

وقال الواقدي: «إن الهجرة الثانية كانت سنة خمس من المبعث»^(١).

وكان عدد من خرج في هذه الهجرة من الرجال ثلاثة وثمانين رجلاً، ومن النساء إحدى عشرة امرأة قرشية وسبع غرائب^(٢)، فأقام المهاجرون بأرض الحبشة عند النجاشي في أحسن جوار^(٣)، وقال ابن إسحاق: ثلاثة وثمانين رجلاً، إن كان عمار بن ياسر منهم وهو يشك فيه^(٤).

إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها:

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد آمنوا وأطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جلدتين إلى النجاشي، فيردوهم عليهم؛ ليفتنوهم في دينهم، ويخرجوهم من دارهم، التي أطمأنوا بها، وأمنوا فيها، فبعثوا عبدالله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص بن وائل، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقتة^(٥)، ثم بعثوهم إليه^(٦).

(١) السيرة النبوية للذهبي ص ١١٧.

(٢) ورد في مختصر سيرة الرسول ﷺ «ومن النساء تسع عشرة امرأة»، ص ٦٣.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى ج ١، ص ٢٠٧، ونهاية الأرب، السفر ١٨ ص ٢٤١، وفتح الباري ج ٧، ص ١٨٩، ومختصر سيرة الرسول ﷺ ص ٦٢-٦٣.

(٤) البداية والنهاية ج ٣، ص ٧٦.

(٥) البطارقة: جمع بطريق وهو القائد والحاذق بالحرب (لسان العرب مادة بطرق ج ١، ص ٤٣٠).

(٦) قيل: إن قريشاً بعثت إلى النجاشي في أمر المهاجرين مرتين الأولى مع عمرو بن العاص وعمارة، والثانية مع عمرو وعبدالله بن أبي ربيعة. انظر: دلائل النبوة ج ١، ص ١٩٧.

حديث أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي:

قال ابن إسحاق: عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة قالت:

«لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمنا على ديننا، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً اتئمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدتين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم^(١)، فجمعوا له أدماً كثيراً - وذكر موسى بن عقبة أنهم أهدوا إليه فرساً وجبة ديباج^(٢) - ولم يتركوا من بطارقه بطريقاً إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبدالله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته، قبل أن تكلمنا النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم، قالت: فخرجا حتى قدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار، عند خير جار، فلم يبق بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلمنا النجاشي، وقالوا لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى^(٣) إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم؛ ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم مما عابوا عليهم؛ فقالوا لهما: نعم.

(١) الأدم: الجلود وهو اسم جمع (لسان العرب مادة أدم ج ١ ص ٩٦).

(٢) البداية والنهاية ج ٣، ص ٨٠.

(٣) ضوى: انضم ولجأ (لسان العرب مادة ضوا ج ٨، ص ١٠٤).

ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له :
أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم
يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا
إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائهم لتردهم إليهم،
فهم أعلى بهم عينا^(١)، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن
العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي. قالت: فقالت بطارقتة حوله:
صدقا أيها الملك، وقومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم،
فأسلمهم إليهما فليردهم إلى بلادهم وقومهم. قالت: فغضب النجاشي،
ثم قال: لا ها الله^(٢)، إذا لا أسلمهم إليهما، ولا يكاد قوم جاوروني،
ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم، فأسألهم عما
يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى
قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسن جوارهم ما
جاوروني.

الحوار الذي دار بين المهاجرين والنجاشي:

قالت: «ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم
رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: «ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟»

(١) أعلى بهم عينا: أبصر بهم من غيرهم (لسان العرب مادة عين ج، ٩، ص ٥٠٦).

(٢) ها الله: أي لا والله (لسان العرب، مادة ها ج ١٥، ص ٩).

قالوا: «نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن». فلما جاؤوا، وقد دعا النجاشي أساقفته^(١)، فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم، فقال لهم: «ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا [به] في ديني، ولا في دين أحد من هذه الملل؟».

قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب [رضوان الله عليه] فقال له: «أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف؛ فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآبائنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات؛ وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - قالت: فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه وأمانا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك؛ ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك».

(١) الأساقفة: علماء النصارى الذين يقيمون لهم دينهم، واحدهم أسقف (لسان العرب مادة سقف)

قالت : فقال له النجاشي : «هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟»
 قالت : فقال له جعفر : «نعم» ، فقال له النجاشي : «فاقرأه علي ؛
 قالت : فقرأ عليه صدرأً من ﴿كهيعص﴾^(١) . قالت : فبكى والله النجاشي
 حتى اخضلت^(٢) لحيته ، وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم ، حين
 سمعوا ما تلا عليهم ؛ ثم قال [لهم] النجاشي : «إن هذا والذي جاء به
 عيسى^(٣) ليخرج من مشكاة^(٤) واحدة ، انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم
 إليكما ، ولا يكادون» .

رأي المهاجرين في عيسى أمام النجاشي:

قالت : فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص : «والله لآتينه غداً
 عنهم بما أستأصل به خضراءهم^(٥)» قالت : فقال له عبدالله بن أبي ربيعة ،
 وكان أتقى الرجلين فينا : «لا نفعل ؛ فإن لهم أرحاماً ، وإن كانوا قد خالفونا»
 قال : «والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد» .
 قالت : ثم غدا عليه من الغد ، فقال له : «أيها الملك ، إنهم يقولون في
 عيسى ابن مريم قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه» . قالت :
 فأرسل إليهم ؛ ليسألهم عنه .

(١) سورة مريم ، آية ١ .

(٢) اخضلت لحيته : ابتلت بالدموع (لسان العرب مادة خضل ج ٤ ، ص ١٢٩) .

(٣) ورد في كتاب تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام «الذي جاء به موسى» انظر : المغازي
 ص ١٣١ . «إن هذا لمن المشكاة التي خرج منها أمر موسى» انظر : حياة الصحابة ج ١ ، ص ٣٤٩ .
 -انظر : دلائل النبوه ذكر فيها «موسى» ج ١ ، ص ٢٤٩ .

(٤) المشكاة : الكوة . بلغة الحبشة كما قال مجاهد . وزاد بعضهم : هي الكوة التي لا منفذ لها ، انظر
 مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ، ص ٦٠٦ .

(٥) خضراءهم : أصلهم (لسان العرب مادة خضر ج ١ ص ١٢٢) .

قالت : ولم ينزل بنا مثلها قط . فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا : «نقول والله ما قال الله ، وما جاءنا به نبينا ، كائناً في ذلك ما هو كائن» .

قالت : فلما دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟ قالت : فقال جعفر بن أبي طالب : «نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ ، يقول : هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول^(١)» . قالت : فضرب النجاشي بيده إلى الأرض ، فأخذ منها عوداً ، ثم قال : «والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود» قالت : فتناخرت^(٢) بطارقه حوله حين قال ما قال ، فقال : «وإن نخرتم والله ، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي - والشيوم : الآمنون - من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم . ما أحب أن لي دبراً من ذهب ، وأني آذيت رجلاً منكم - قال ابن هشام : ويقال : دبراً من ذهب ، ويقال : فأنتم سيوم ، والدبر : (بلسان الحبشة) : الجبل - ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها ، فو الله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي ، فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه» . قالت : فخرجنا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به ، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار .

قالت : فو الله ، إنا لعلی ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه . قالت : فو الله ، ما علمتنا حزناً حزناً قط كان أشد علينا من حزن

(١) البتول : العذراء المنقطعة عن الرجال لا أرب لها فيهم (لسان العرب مادة بتل ج ١ ، ص ٣١١) .

(٢) تناخرت بطارقه : تكلمت بلغتهم (المرجع السابق مادة نخر ج ١٤ ، ص ٨٢) .

حزنه عند ذلك ، تخوفاً أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي ، فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه . قالت : وسار إليه النجاشي ، وبينهما عرض النيل قالت : فقال أصحاب رسول الله ﷺ : من رجل يخرج حتى يحضر وقية القوم ثم يأتي بالخبر ؟ قالت : فقال الزبير بن العوام : أنا . قالوا : فأنت . وكان من أحدث القوم سناً . قالت : فنفخوا له قربة ، فجعلها في صدره ، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ، ثم انطلق حتى حضرهم . قالت : فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه ، والتمكين له في بلاده . قالت : فو الله إنا لعل ذلك متوقعون ما هو كائن ، إذ طلع الزبير وهو يسعى ، فلمع^(١) بثوبه وهو يقول : ألا أبشروا ، فقد ظفر النجاشي ، وأهلك الله عدوه ، ومكن له في بلاده . قالت : فو الله ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلها . قالت : ورجع النجاشي ، وقد أهلك الله عدوه ، ومكن له في بلاده ، واستوسق^(٢) عليه أمر الحبشة ، فكنا عنده في خير منزل ، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة^(٣)»^(٤) .

(١) لمع بثوبه وألعب به : إذا رفعه وحركه ليراه فيجيء إليه (لسان العرب مادة لمع ج ١٢ ، ص ٣٢٨) .

(٢) واستوسق : تمكن (لسان العرب مادة وسق ج ١٥ ، ص ٣٠٠) .

(٣) ذكر في دلائل النبوة ج ١ ، ص ٢٥٠ (بالمدينة) .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢٦٣ إلى ص ٢٦٧ ، وانظر : السيرة النبوية لابن هشام المغافري ج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩١ ، ونهاية الأرب السفر ١٨ ص ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ودلائل النبوة ج ١ ص ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام «المغازي» ص ١٣٠ - ١٣٣ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ١١٦ ، ١١٨ - ١٢٠ ، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٧٩ - ٨٢ ، قال عند الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٦ ص ٣٠ «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق وقد صرح بالسماع» ، وحياة الصحابة ج ١ ص ٣٤٨ - ٣٥٣ .

المبحث الرابع

هجرتها إلى المدينة

لما بايع الأنصار رسول الله ﷺ على الإسلام، والنصرة له ولمن اتبعه، اشتد سخط المشركين لهم، ولم يعد المسلمون يحتملون أذى قريش وتعذيبهم لهم، فأذن الله تعالى لرسول الله ﷺ بحرب المشركين، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللاحق بإخوانهم من الأنصار^(١).

وقد أورد البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين، فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا وداراً تأمنون بها، فخرجوا أرسالا، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة، والهجرة إلى المدينة»^(٣).

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ج ٢، ص ٨٤، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢١٢، والبداية والنهاية ج ٣، ص ١٦٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة الحبشة ج ٤، ص ٢٤٤ وهذا لفظه، وانظر: السيرة النبوية للذهبي ص ٢١١، والبداية والنهاية ج ٣، ص ١٩٨.

(٣) فتح الباري ج ٧، ص ٢٢٦، قال أبو موسى عن النبي ﷺ قال: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل. فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب»، ورد في صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ ج ٤، ص ١٧٧٩ (٢٢٧٢).

هجرة أبي سلمة وزوجه وحديثها عما لقياه:

فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش، من بني مخزوم: أبو سلمة^(١) بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، وكان قد قدم على رسول الله ﷺ إلى مكة من أرض الحبشة، فلما آذته قريش، وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجراً^(٢).

فكانت قصة خروج أم سلمة - رضي الله عنها - مع زوجها أبي سلمة - رضي الله عنه - مأساة بالغة الأثر. نترك فيها الحديث لأم سلمة رضي الله عنها تحدثنا بلسانها عن مراحل تلك الهجرة^(٣).

وقال ابن إسحاق: عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة، عن جدته أم سلمة، زوج النبي ﷺ، قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل^(٤) لي بعيه، ثم حملني عليه، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري^(٥)، ثم خرج بي يقود بي بعيه، فلما رآته رجال بني

(١) وفي مختصر سيرة الرسول ﷺ «وزوجته أم سلمة ولكنها حبست عنه سنة...». ص ٩٢، انظر أيضاً زاد المعاد ج ٣، ص ٤٩.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ج ٢، ص ٨٥، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢١٢، والبداية والنهاية ج ٣، ص ١٦٩، والسيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ج ١، ص ٤٥٩.

(٣) انظر: نساء حول الرسول ﷺ ص ٧٠.

(٤) رحل: وضع على ظهره الرحل أو جعل عليه الرحل (لسان العرب مادة رحل ج ٥، ص ١٧٠).

(٥) في حجري: أي في حضني (المرجع السابق مادة حجر ج ٣، ص ٥٧).

المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه ، فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبك^(١) هذه ؟ علام نتركك تسير بها في البلاد ؟ قالت : فتزعوا خطام البعير من يده ، فأخذوني منه . قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد ورهط أبي سلمة ، فقالوا : لا والله ، لا نترك ابننا عندها إذا نزعتموها من صاحبنا ، قالت : فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا^(٢) يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحسني بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة . قالت : ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني . قالت : فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح^(٣) . فما أزال أبكي ، حتى أمسي سنة^(٤) أو قريباً منها حتى مر بي رجل من بني عمي^(٥) أحد بني المغيرة ، فرأى ما بي^(٦) ، فرحماني ، فقال لبني المغيرة : ألا تخرجون^(٧) هذه المسكينة ، فرقتم بينها وبين زوجها^(٨) ، وبين ولدها^(٩) ! قالت : فقالوا لي : الحقي بزواجك إن شئت . قالت : ورد بنو عبد الأسد إليّ عند ذلك ابني . قالت : فارتحلت

(١) في السمط الثمين [صاحبتنا] ص ١٣٤ ، وأيضاً انظر : البداية والنهاية ص ١١٩ ، الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ، ص ٢٤٠ ، وحياة الصحابة ج ١ ، ص ٣٥٨ .

(٢) خلعوا : نزعوا (لسان العرب مادة خلع ج ٤ ، ص ١٧٩) .

(٣) الأبطح : إحدى ضواحي مكة (المرجع السابق مادة بطح ج ١ ص ٤٢٨) .

(٤) في الإصابة في تمييز الصحابة [سبعاً] ج ٤ ، ص ٣٤٠ .

(٥) في نزهة المجالس ومنتخب النفائس [من بني عامر] ج ٢ ، ص ١٧٥ .

(٦) في الإصابة في تمييز الصحابة [ما في وجهي] ج ٤ ، ص ٢٤٠ .

(٧) وفي البداية والنهاية ج ٣ ، ص ١١٩ [ألا تخرجون من هذه ... إلخ] ، وانظر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ، ص ٢٤٠ .

(٨) في السيرة النبوية للذهبي لم يذكر زوجها ص ٢١٢ .

(٩) وزاد في السمط الثمين [وبيتها] ص ٢٣٤ .

بعيري، ثم أخذت ابني^(١)، فوضعتة في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة. قالت: وما معي أحد من خلق الله. قالت: فقلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم^(٢) لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة^(٣) أخا بني عبد الدار فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قالت: فقلت: أريد زوجي بالمدينة. قال: أو ما معك أحد؟ قالت: فقلت: لا والله، إلا الله وبني هذا. قال: والله ما لك من مترك^(٤)، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي^(٥)، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط، أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري، فحط عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى عني إلى شجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الروح، قام إلى بعيري، فقدمه فرحله، ثم استأخر عني، وقال: اركبي. فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى، فأخذ بخطامه، فقاده، حتى ينزل بي. فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك في هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلا - فادخلها على بركة الله، ثم انصرف

(١) في السيرة النبوية للذهبي [سلمة] ص ٢١٢.

(٢) التنعيم: مكان بين مكة والمدينة (لسان العرب مادة نعم ج ١٤، ص ٢١٥).

(٣) عثمان بن طلحة: كان حاجب بيت الله في الجاهلية، وكان يوم رافق أم سلمة مشركاً. أسلم في هدنة الحديبية، وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد، فلما فتحت مكة دفع النبي ﷺ مفاتيح الكعبة إلى عثمان بن طلحة، استشهد عثمان بن طلحة بأجنادين في خلافة عمر، رضي الله عنهما. انظر: الروض الأنف ج ٤، ص ١٦١/١٦٢.

(٤) في الإصابة في تمييز الصحابة [مترك] ج ٤، ص ٢٤٠.

(٥) يهوي بي: أي يسرع بالسير بي (لسان العرب مادة هوا ج ١٥، ص ١٦٨).

الفصل الأول = سيرة أمر المؤمنين أمر سلمة راجعاً إلى مكة^(١).

قال : فكانت تقول : والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة ، ومارأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة^(٢) .
«وقيل : إنها أول ظعينة^(٣) هاجرت إلى المدينة . والله أعلم»^(٤) .

ويتبين من هذه القصة التي تحدثت فيها أم سلمة رضي الله عنها عن

(١) انظر :

- السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ، ص ٨٥-٨٦ .
- وأسد الغابة ج ٧ ، ص ٣٤١-٣٤٣ مع الاختلاف في اللفظ .
- والسمط الثمين ص ١٣٤-١٣٦ مع الاختلاف في الألفاظ .
- والسيرة النبوية للذهبي ص ٢١٢-٢١٣ .
- والبداية والنهاية ج ٣ ، ص ١٦٩-١٧٠ مع الاختلاف في الألفاظ .
- والإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ، ص ٢٤٠-٢٤١ مع الاختلاف في الألفاظ .
- وحياة الصحابة ج ١ ، ص ٣٥٨-٣٥٩ .
- ونزهة المجالس ومنتخب النفائس ج ٢ ، ص ١٧٥ .

(٢) انظر :

- السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ، ص ٨٦ .
- وأسد الغابة ص ٣٤٢ .
- والسمط الثمين ص ١٣٦ .
- والبداية والنهاية ج ٣ ، ص ١٧٠ .
- وحياة الصحابة ج ١ ، ص ٣٥٩ .
- (٣) ظعينة : المرأة في اليهودج ، سميت به على حد تسمية الشيء باسم الشيء لقربه منه (لسان العرب ، مادة ظعن ، ج ٨ ، ص ٢٥٣) .

(٤) أسد الغابة ج ٧ ، ص ٣٤٢ ، والسمط الثمين ص ٣٣١ ، والإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ، ص ٢٤١ ، وكتاب الاستيعاب ج ١ ، ص ٨٠٢ ، وسمط النجوم العوالي ج ١ ، ص ٣٨٣ ، ونهاية الأرب في فنون الأدب ، السفر ١٨ ، ص ١٧٩ ، وموسوعة آل النبي ﷺ ص ٣١٢ .

معاناتها وكيفية خروجها إلى المدينة المنورة، قوة إيمانها وثباتها على الحق بالرغم من أن قومها منعوها من مرافقة زوجها، وحرموها من فلذة كبدها، كما يوضح حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها لم تلجأ إلى أحد من أقاربها، ولم تطلب معونة أحد منهم، وإنما لجأت إلى الله سبحانه وتعالى سائلة إياه تعالى أن يمكنها من الالتحاق بالمسلمين ورؤية زوجها، وتؤكد هذه المحنة كذلك إصرار أم سلمة رضي الله عنها القوي على الاستجابة لأمر الرسول ﷺ للهجرة من مكة إلى المدينة المنورة بالرغم مما يكتنف هذه الرحلة من مخاطر لكونها ستغادر بلدها وحيدة لفترة طويلة.

وهكذا يستجيب الله تعالى لدعاء أم سلمة رضي الله عنها، فيمكنها من اللحاق بزوجها مع ولدها، ويسر الله أمرها بمرافقة رجل من أكرم أهل قريش، فيلتئم شمل الأسرة في أرض المدينة المنورة.

* * *

المبحث الخامس

ترمّل أم سلمة^(١) من أبي سلمة رضي الله عنهما

اجتمع شمل أم سلمة رضي الله عنها مع أبي سلمة رضي الله عنه في المدينة المنورة، وشارك أبو سلمة في غزوة أحد^(١)، وأبلى فيها بلاءً حسناً. إلا أن أبا سلمة رضي الله عنه أصيب في غزوة أحد^(٢).

فلقد ذكر عمر بن أبي سلمة أن أبا سلمة خرج إلى أحد فرماه أبو سلمة الجشمي في عضده بسهم، فمكث شهراً يداوي جراحه، ثم برئ الجرح، وبعثه رسول الله ﷺ إلى قطن^(٣).

سرية أبي سلمة رضي الله عنه إلى قطن:

شارك أبو سلمة رضي الله عنه في سرية إلى قطن . . . فقد ورد في كتاب الطبقات لابن سعد «أن رسول الله ﷺ عقد لأبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي لواء سرية إلى قطن^(٤)»، وهو جبل به ماء لبني أسد بن خزيمه، في هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من هجرة رسول الله ﷺ^(٥).

(١) كانت غزوة أحد في السنة الثالثة. انظر: المعارف ص ٦٩.

(٢) انظر: الاستغناء في معرفة المشهورين ص ٣٠٦، وسمط النجوم ص ٣٨٤، وعيون الأثر ج ١ ص ٣٨٢.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى ج ٨، ص ٨٧، وعيون الأثر ج ١ ص ٣٨٢، وأزواج النبي ﷺ ص ١٤٨-١٤٩، وموسوعة أمهات المؤمنين ص ١٣٩.

(٤) في سمط النجوم العوالي [جبل بنجد] ج ١، ص ٣٨٥.

(٥) في سير أعلام النبلاء ج ٢، ص ٢٠٣ [سنة أربع]، انظر: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ج ١، ص ١٨٦.

وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ، أن طليحة وسلمة ابني خويلد قد سارا في قومهما ومن أطاعهما يدعونهم إلى حرب رسول الله ﷺ. فدعا رسول الله ﷺ أبا سلمة، وعقد له لواء، وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار، وقال: سر حتى تنزل أرض بني أسد، فأغر عليهم قبل أن تتلاقى عليك جموعهم، فخرج فأغذ^(١) السير، وانكب عن سنن الطريق، وسبق الأخبار، وانتهى إلى أدنى قطن، فأغار على سرح لهم، فضموه^(٢)، وأخذوا رعاء لهم ممالك ثلاثة، وأفلت سائرهم، فجاءوا جمعهم فحذروهم فتفرقوا في كل ناحية، ففرق أبو سلمة أصحابه ثلاث فرق في طلب النعم والشاه، فأبوا إليه سالمين، قد أصابوا إبلاً وشاء ولم يلقوا أحداً^(٣). فغاب تسعاً وعشرين ليلة^(٤)، ثم رجع فدخل المدينة لثمان خلون من صفر سنة أربع، والجرح منتقض^(٥)»^(٦).

(١) فأغذ: أسرع (لسان العرب مادة غذذ ج ١٠، ص ٢٨).

(٢) ورد في عيون الأثر ج ١ ص ٥٤ [فضمه].

(٣) انظر: الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٠، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٣٣، والاستغناء في معرفة المشهورين ص ٥٤، وتاريخ الإسلام وطبقات المشاهير ج ١، ص ١٨٦، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير «الغازي» ص ٢٢٩، وأزواج النبي ﷺ ص ١٤٩، وسمط النجوم ج ١، ص ٣٨٥، وعيون الأثر ج ١، ص ٥٤.

(٤) في تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير ج ١ [بضع عشرة ليلة] ص ١٨٦، وانظر أيضاً تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير «الغازي» ص ٢٢٩.

(٥) منتقض: يقال: انتقض الجرح بعد البرء إذا عاد إلى حاله (لسان العرب مادة نقض ج ١٤، ص ٢٦٣).

(٦) الطبقات الكبرى ج ٨، ص ٨٧، تاريخ الأمم والملوك ج ١٣، ص ٧٢ مع الاختلاف اليسير، وسير أعلام النبلاء ج ٢، ص ٢٠٣، وسمط النجوم ج ١، ص ٣٨٥ مع الاختلاف اليسير في اللفظ والاختصار، وعيون الأثر ج ١، ص ٣٨٢ مع الاختصار، وموسوعة أمهات المؤمنين ص ١٤٠.

مرض أبي سلمة رضي الله عنه:

وعندما عاد من بعثته انتكأ الجرح الذي أصاب أبا سلمة يوم أحد، فألزمه الفراش، ولقد ذكر ابن سعد في الطبقات نص الحوار الذي دار بين أبي سلمة وأم سلمة رضي الله عنهما أثناء مرضه، قالت أم سلمة: «بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة وهي من أهل الجنة، ثم لم تزوج بعده إلا جمع الله بينهما في الجنة. وكذلك إذا ماتت المرأة وبقي الرجل بعدها. فتعال أعاهدك ألا تزوج بعدي ولا أتزوج بعدك». قال: «أتطيعيني^(١)؟» قالت: «ما استأمرتك إلا وأنا أريد أن أطيعك^(٢)». قال: «فإذا مت فتزوجي». ثم قال: «اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني، لا يحزنها، ولا يؤذيها»^(٣).

وكرر أبو سلمة دعاءه هذا بأن يخلف زوجاً خيراً منه وهو على فراش المرض يحتضر، حيث روت أم سلمة رضي الله عنها أنه قال وهو يحتضر: اللهم اخلفني في أهلي بخير مني^(٤).

(١) في أزواج النبي ﷺ [أتعطيني] ص ١٥٣.

(٢) المرجع السابق [أعطيك] ص ١٥٣.

(٣) الطبقات الكبرى ج ٨، ص ٨٨، وسير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٢٠٣ مع الاختصار، وأزواج النبي ﷺ ص ١٥٣ مع الاختلاف السير في الألفاظ.

(٤) انظر: تسمية أزواج النبي ﷺ ص ٥٧.

حضور رسول الله ﷺ لأبي سلمة وهو يحتضر ودعاؤه له:

حضر رسول الله ﷺ أبا سلمة رضي الله عنه وهو على فراش موته ، وبقي إلى جانبه ، يدعو له بخير حتى مات ، فأغمضه بيده الكريمة ، وكبر عليه تسع تكبيرات . قيل له : يا رسول الله ، أسهوت أم نسيت ؟ فأجاب : «لم أسه ولم أنس ، ولو كبرت على أبي سلمة ألفاً كان أهلاً لذلك»^(١) . وهذا يؤكد تقدير الرسول ﷺ لأبي سلمة في سابقته للإسلام ، وفي جهاده وصبره ورغبته في إعلاء كلمة الله تعالى .

كما ورد أيضاً الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها ما يؤكد حرص رسول الله ﷺ على أبي سلمة رضي الله عنه حيث قالت : «دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره . فأغمضه . ثم قال : «إن الروح إذا قبض تبعه البصر» فضج ناس من أهله ، فقال : «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير ؛ فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون» ثم قال : «اللهم اغفر لأبي سلمة ، وارفع درجته في المهديين»^(٢) ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين . وافسح له في قبره ، ونور له فيه»^(٣) .

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ، ص ١٧٧ ، والإصابة في تمييز الصحابة ج ٨ ، ص ٢٤٠ .

(٢) ورد في حياة الصحابة ج ٣ ، ص ٣٤٥ [المقرين] .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر (٩٢٠) ج ٢ ص ٦٣٤ وهذا لفظه ، وفي رواية أخرى قال [اخلفه في تركته] ، وقال : [اللهم أوسع له في قبره] ولم يقل : [افسح له] ، وورد أيضاً في صحيح سنن أبي داود ، كتاب الجنائز ، باب تغميض الميت (٢٦٧٥) ج ٢ ، ص ٦٠٣ . وورد أيضاً في صحيح سنن ابن ماجه ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في تغميض الميت (١٤٥٤) ج ١ ، ص ٢٤٥ ، وورد في مسند الإمام أحمد ج ٦ ، ص ٢٩٧ ، ومسند أبي يعلى (٦٩٩٥) ج ٦ ، ص ٢٩٤ ، والمعجم الكبير (٧١٢) ج ٢٣ ، ص ٣١٥ .

موقف أم سلمة رضي الله عنها من وفاة زوجها:

تألمت أم سلمة رضي الله عنها لوفاة زوجها ألماً شديداً، وكانت تردد: «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبي، واخلف لي خيراً منها»^(١).

وكانت أم سلمة رضي الله عنها تتأسى في قولها هذا بما سمعته عن النبي ﷺ، ففي حديث عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول: ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم أجرني في مصيبي، واخلف لي خيراً منها - إلا أخلف الله له خيراً منها»^(٢).

وزاد ابن ماجه: «إلا أجره الله عليها، وعاضه»^(٣) خيراً منها»^(٤).

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة (٩١٨)، وورد في مسند الإمام أحمد ج ٦، ص ٣٠٩ بنحوه، ومسند أبي يعلى (٦٨٧١) ج ٦، ص ٢٤٦ بنحوه، والمعجم الكبير (٦٩٢) ج ٢٣، ص ٣٠٦، وفي (٩٥٧) ص ٤٠٠ وفي (٧٢٣) ص ٣١٩ بنحوه، والسمط الثمين ص ٢٣٦، وكتاب أزواج النبي ﷺ ص ١٤٩، وذكر ص ١٥٠ مع الاختلاف اليسير في اللفظ، وسمط النجوم العوالي ج ١، ص ٣٨٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة (٩١٨)، ج ٢، ص ٦٣١، وورد في مسند الإمام أحمد ج ٦، ص ٣٠٩ بنحوه، ومسند أبي يعلى (٦٨٧١) ج ٦، ص ٢٤٦ بنحوه، والمعجم الكبير (٦٩٢) ج ٢٣، ص ٣٠٦، وفي (٩٥٧) ص ٤٠٠ وفي (٧٢٣) ص ٣١٩ بنحوه، والسمط الثمين ص ٢٣٦، وكتاب أزواج النبي ﷺ ص ١٤٩ وذكر ص ١٥٠ مع الاختلاف اليسير في اللفظ، وسمط النجوم العوالي ج ١، ص ٣٨٣.

(٣) ورد في المعجم الكبير (٩٥٧) ج ٢٣، ص ٤٠٠ [وأعقبه الله].

(٤) صحيح سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصبر على المصيبة (١٥٩٨) ج ١ ص ٢٦٦ وهذا لفظه، وورد في مسند الإمام أحمد ج ٦، ص ٣٢١، والمعجم الكبير (٩٥٧) ج ٢٣ ص ٤٠٠ بنحوه، والطبقات الكبرى ج ٨ ص ٨٧ مع الاختلاف اليسير في اللفظ، وكتاب أزواج النبي ﷺ ص ١٤٩، وفي ص ١٥٠ مع الاختلاف اليسير في اللفظ، وسمط النجوم العوالي ج ١، ص ٣٨٣.

ولكن لم تطب نفس أم سلمة رضي الله عنها أن تكمل الدعاء متسائلة بينها وبين نفسها من الذي سوف يكون خيراً من أبي سلمة؟ إلا أن الله عزم عليها، فأكملت الدعاء، فلقد ورد في صحيح مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «فلما توفي أبو سلمة قلت: من خير من أبي سلمة صاحب رسول الله ﷺ؟ ثم عزم الله لي فقلتها»^(١).

ولقد تهيأت أم سلمة رضي الله عنها للبكاء على وفاة زوجها أبي سلمة رضي الله عنه قائلة: والله لأبكيه، فلقد كان غريباً، ومات في أرض غربة، فهي بذلك تريد أنه من أهل مكة، ومات بالمدينة، فلقد ورد في صحيح مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: «لما مات أبو سلمة قلت: غريب وفي أرض غربة؛ لأبكيه بكاء يُحدث عنه، فكنت قد تهيأت للبكاء عليه. إذ أقبلت امرأة من الصعيد»^(٢) تريد أن تسعدني^(٣). فاستقبلها رسول الله ﷺ وقال: أتريدين أن تدخلني الشيطان بيتاً أخرج به الله منه؟ مرتين». فكففت عن البكاء فلم أبك^(٤).

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة (٩١٨) ج ٢، ص ٦٣٣ وهذا لفظه، وفي رواية أخرى لمسلم: [قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ؟ ثم إني قلتها] (٩١٨) ج ٢، ص ٦٣٢، وورد في مسند الإمام أحمد ج ٦، ص ٣٠٩، والمعجم الكبير (٦٩٢) ج ٢٣، ص ٣٠٦، وفي (٩٥٧) (٤٠٠)، والسمط الثمين ص ١٣٦، وأزواج النبي ﷺ ص ١٤٩، في ص ١٥٠، وسمط النجوم العوالي ج ١، ص ٣٨٣.

(٢) الصعيد: المرتفع من الأرض، وقيل: الصعيد الأرض (لسان العرب مادة صعد ج ٧، ص ٣٤٣-٣٤٤).

(٣) تسعدني: سعدة بمعنى أعانه والإسعاد المعونة (لسان العرب مادة سعد، ج ٦، ص ٢٦٢).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت (٩٢٢) ج ٢، ص ٦٣٥ وهذا لفظه، وورد في مسند الإمام أحمد ج ٦، ص ٢٨٩ بنحوه، ومسند أبي يعلى ج ٦ (٦٩١٢) روي بنحوه، (٦٩١٩) بنحوه، والمعجم الكبير (٦٠١) ج ٢٣، ص ٢٧٧.

فعندما نهاها رسول الله ﷺ عن البكاء كفت عنه . وجاءت إلى رسول الله ﷺ سائلة إياه عما عساها أن تدعو به لأبي سلمة بعد وفاته ، فقال رسول الله ﷺ : «قولي اللهم اغفر لي وله ، واعقبنِي منه عقبى حسنة»^(١) .
قالت : فقلت^(٢) فأعقبنِي الله من هو خير منه ، محمد رسول الله ﷺ^(٣) .

سنة وفاة أبي سلمة رضي الله عنه:

توفي أبو سلمة رضي الله عنه متأثراً بجراحه ، ولكن اختلف في السنة التي توفي فيها أبو سلمة رضي الله عنه :
فقيل : في السنة الثالثة من الهجرة ، ومن قال بهذا : ابن عبد البر قال :
«توفي لثلاث مضيّن من جماد الآخر سنة ثلاث من الهجرة»^(٤) .
وابن الجوزي^(٥) .

- (١) صحيح سنن الترمذي ، أبواب الجنائز ، باب تلقين المريض عند الموت والدعاء له (٧٨٢) ج ١ ، ص ٢٨٨ ، وهذا لفظه ، وورد أيضاً في مسند أبي يعلى (٦٩٢٨) ج ٦ ، ص ٢٦٩ ، والطبقات الكبرى ج ٨ ، ص ٨٨ ، وسير أعلام النبلاء ج ٢ ، ص ٢٠٧ .
- (٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في ما يقال عند المريض إذا حضر ج ١ (١٤٤٧) ص ٢٤٤ [ففعلت] ، وورد في المعجم الكبير (٩٤٠) ج ٢٣ ، ص ٣٩٣ .
- (٣) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند المريض والميت (٩٩١٩) ج ٢ ، ص ٦٣٣ ، وهذا لفظه ، وورد أيضاً في صحيح سنن أبي داود ، كتاب الجنائز ، باب ما يستحب أن يقال عند الميت من كلام (٢٦٧٢) ج ٢ ، ص ٦٠٢ ، وورد أيضاً في صحيح سنن الترمذي ، أبواب الجنائز ، باب تلقين المريض عند الموت والدعاء له (٧٨٢) ج ١ ص ٢٨٨ ، وورد أيضاً في صحيح سنن ابن ماجه ، كتاب الجنائز ، باب فيما يقال عند المريض إذا حضر (١٤٤٧) ج ١ ، ص ٢٤٤ ، وورد في مسند الإمام أحمد ج ٦ ص ٢٩١ ، وفي ٣٠٦ بنحوه ، ومسند أبي يعلى (٦٩٢٨) ج ٦ ، ص ٢٦٩ بنحوه ، والمعجم الكبير (٣٩٣) ج ٢٣ ، ص ٢١٥ / وفي (٩٤٠) ، ص ٣١٩ بنحوه ، والطبقات الكبرى ج ٨ ، ص ٨٨ ، وسير أعلام النبلاء ج ٢ ، ص ٢٠٧ مع الاختلاف اليسير في الألفاظ .
- (٤) الاستغناء في معرفة المشهورين ج ١ ، ص ٣٠٦ .
- (٥) انظر : صفوة الصفوة ج ١ ، ص ٤٤١ .

ومنهم من قال: توفي أبو سلمة في السنة الرابعة من الهجرة. وقال بهذا ابن سعد^(١) والطبري^(٢) الذهبي^(٣) والدمشقي^(٤) وعبد الملك بن حسين^(٥) وابن سيد الناس^(٦) وصاحب «تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير»^(٧) وصاحب «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير»^(٨) وعبد الرحمن الصفوري الشافعي^(٩) وابن الجوزي^(١٠).

مناقشة الروايات:

ويرد على من قال: إن أبا سلمة رضي الله عنه توفي في سنة ثلاث من الهجرة ما ثبت أن أبا سلمة رضي الله عنه خرج بسريته التي عقدها له رسول الله ﷺ إلى قطن في هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من هجرة رسول الله ﷺ^(١١).

(١) انظر: الطبقات الكبرى ج ٨، ص ٨٧.

(٢) انظر: السمط الثمين ص ١٣٣.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ج ٣، ص ٢٠٣.

(٤) انظر: أزواج النبي ﷺ ص ١٤٩.

(٥) انظر: سمط النجوم العوالي ج ١، ص ٣٨٥.

(٦) انظر: عيون الأثر ج ١، ص ٣٨٢.

(٧) انظر: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير ج ١، ص ١٨٦.

(٨) انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير ص ٢٣٠.

(٩) انظر: نزهة المجالس ومنتخب النفائس ج ٢، ص ١٧٦.

(١٠) انظر: كتاب الوفا بأحوال المصطفى ج ٢، ص ٣٤٩.

(١١) انظر: الطبقات الكبرى ج ٨، ص ٨٧، وتاريخ الأمم والملوك ج ١٣، ص ٧٢، مع الاختلاف

اليسير، وسير أعلام النبلاء ج ٢، ص ٢٠٣، وسمط النجوم العوالي ج ١، ص ٣٨٥ مع

الاختلاف اليسير، وعيون الأثر ج ١، ص ٣٨٢.

كما يرد أيضاً على من قال : إنه توفي سنة ثلاث من الهجرة ما قاله الحافظ ابن حجر : «إن أبا سلمة شهد أحداً ورمي بسهم ، فعاش بعده خمسة أشهر أو سبعة ، ومات»^(١) .

الرأي الرابع:

لقد اتفقت معظم الروايات^(٢) على أن عدة أم سلمة رضي الله عنها انقضت في شوال من السنة الرابعة من الهجرة كما ذكر ذلك ابنها عمر بن أبي سلمة حيث قال : «فاعتدت أُمِّي ، وحلت لعشر بقين من شوال سنة أربع»^(٣) والمعروف أن عدة المرأة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام كما قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾^(٤) .

فمعنى هذا أن أبا سلمة رضي الله عنه توفي قبل انقضاء عدة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها بأربعة شهر وعشرة أيام ، وهذا يؤكد أن أبا سلمة رضي الله عنه توفي في السنة الرابعة من الهجرة في شهر جمادى الآخرة .

(١) تهذيب التهذيب ج ١٢ ، ص ٤٥٦ .

(٢) مسند الإمام أحمد ج ٥ ، ص ١٢٠ ، والطبقات الكبرى ج ٢ ، ص ٨٧ ، ص ٩٥ ، وتاريخ الأمم والملوك ج ١٣ ، ص ٧٢ ، وتهذيب التهذيب ج ١٢ ، ص ٤٥٦ ، ونزهة المجالس ومنتخب النفائس ج ٢ ، ص ١٧٦ .

(٣) مسند الإمام أحمد ج ٥ ، ص ١٢٠ ، والطبقات الكبرى ج ٢ ، ص ٨٧ ، ص ٩٥ ، وتاريخ الأمم والملوك ج ١٣ ، ص ٧٢ ، وتهذيب التهذيب ج ١٢ ، ص ٤٥٦ ، ونزهة المجالس ومنتخب النفائس ج ٢ ، ص ١٧٦ .

(٤) سورة البقرة ، آية ٢٣٤ .

مواساة رسول الله ﷺ أم سلمة رضي الله عنها:

فعندما توفي أبو سلمة رضي الله عنه جاء رسول الله ﷺ إلى أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها يواسيها في مصابها. فلقد ورد أن رسول الله ﷺ دخل على أم سلمة رضي الله عنها يعزيها بأبي سلمة، فقال: «اللهم عز حزنها واجبر مصيبتها. وأبدلها به خيراً منه»^(١)، وقال لها ﷺ: «سلي الله أن يؤجرك في مصيبتك، ويخلفك خيراً، فقالت: ومن يكن خيراً من أبي سلمة؟!»^(٢).

* * *

(١) الطبقات الكبرى ج ٨، ص ٨٩.

(٢) مسانيد أمهات المؤمنين ص ٣٥.